[وبالوالدين إحسانا]

إعداد

د. ناجي بن محمد بن وقدان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد:

قضى الله جل وعلا وقضاءه حق وعدل ألا يعبد إلا هو وبالوالدين إحسانا ،فالإحسان للوالدين وطاعتهما والقيام ببرهما مرتبط بطاعة الله عز وجل، كما قال جل وعلا(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) الإسراء ٢٣ ، وقد صح عن رسول الله ﷺ ما يدل على هذا المعنى ، فسئل عليه الصلاة والسلام قيل: يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال:(الصلاة على وقتها. قيل: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قيل: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله) رواه البخاري ومسلم، وعن أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر -كررها ثلاثاً- قالوا: بلى يا رسول الله! قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور) رواه البخاري.

فبين عليه الصلاة والسلام أن من أكبر الكبائر عقوق الوالدين، وأن برهما من أهم الواجبات ومن أعظم الفرائض، وفي الحديث الآخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين) رواه الترمذي وغيره، وهذه الأحاديث وغيرها تدل على عظم بر الوالدين والإحسان إليهما والرفق بهما والأدب معهما في القول والعمل، و مخاطبتهما بالتي هي أحسن بالكلام الطيب والأسلوب الحسن وخفض الصوت، وعدم رفع الصوت عليهما، ومن ذلك السمع والطاعة لهما في المعروف إذا أمراه بشيء لا يخالف شرع الله وهو يستطيعه.

والخلاصة في ذلك أن بر الوالدين من أعظم القربات وأزكى الطاعات، ولذلك جعل الله للولدين بابا في الجنة كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(الوالد أوسط أبواب الجنة فأضع ذلك الباب أو احفظه) رواه ابن ماجة .

أدلة القرآن الكريم على بر الوالدين:

يقول المولى عز وجل ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾الأحقاف١٥،وقال سبحانه ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ والإحسان إليهما بمعنى أن يعاملهما بالمعروف والحسنى، ويتواضعَ لهما، ويمتثلَ أمرهما، ويخفض لهما الجناح، ولذلك اهتم الإسلامُ كثيرًا بأمر الوالدينِ، وعد عقوقَهما من كبائر الذنوب، فعن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: كنا عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (ألا أنبِّئُكم بأكبر الكبائر؟) - ثلاثًا - قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: (الإشراكُ بالله، وعقوق الوالدين، ألاَ وشهادة الزور، وقول الزور)، وكان متَّكئًا فجلس، فما زال يُكرِّرها حتى قلنا: ليته سكَت" رواه البخاري ومسلم.

وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم، يقرر المولى عز وجل بر الوالدين والإحسان إليهما كما قال تعالى﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ الأحقاف١٥، وقال عز وجل ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ النساء٣٦، ويوصي ربنا جل جلاله بالتأدُّبِ مع الوالدين، والتذلُّل لهما، وخَفْضِ الصوت أمامهما في هذه الآيات الحكيمة الرائعة ويقرن طاعتهما بعبادته فقال تعالى﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ الإسراء: ٢٣، ٢٤، وقوله { إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ} يذكر بها الأبناء بأنهم بالأمس كانوا صغارا عند والديهم يرعونهم ويقومون على تربيتهم وشئونهم، فلما صاروا في حال من الكبر ،أصبحوا عند أبناءهم وفي رعايتهم،حيث وجب على الأبناء القيام بالواجب حيال رعايتهم والقيام على شئونهم، ولا يمكن بحال مكافأة الوالدين على جميل صنيعهما مهما بذل الأبناء، ولكن لعل في الاهتمام بهما سبب في رضاهما لينال الأبناء بذلك رضاء المولى عز وجل. ومن العجيب في كتاب الله عز وجل أنه له يجعل الوصيةُ ببِر الوالدين لأمتنا فقط، بل هي لكلِّ الأمم السابقة أيضًا كما قال الله تعالى﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ البقرة ٨٣، وجاء على لسانِ عيسى بن مريم عليه السلام لتعليم قومِه بِرَّ الوالدين ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾مريم ٣٢، ومن قبلُ إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام جَهَدَ من أجلِ إيمان أبيه، لكن الوالد أبى، ورغم ذلك ظل إبراهيم بارًّا بأبيه،

وقال له: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ مريم ٤٧، وقال: ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ الشعراء ٨٦.

ولقد أوصى اللهُ الأبناء بطاعة الوالدين، وأوجب عليهم ذلك، لكن هذه الطاعة مقيَّدةٌ بأن لا تكون في معصية الله، فالوالدان هما السبب في إيجاد الولد في هذه الحياة الدنيا، وتجشما الصعاب في تربيته والعناية به حتى شبَّ وكَبر، وهذا عمل يستوجبانِ عليه الطاعة والإحسان والبِرَّ، ولكن هذه الطاعة لها حدود، وحدودها أن تبقى في دائرة الإيمان والحلال، فلا يطاعان في حرام أو معصية، لأن ذلك يؤدي إلى معصيةِ الموجِد، وهو الله سبحانه وتعالى، فطاعة الموجِد عز وجل مقدَّمة على طاعة من كان سببًا في الإيجاد، لأنه هو تعالى صاحب النِّعم، وهو المربي على الحقيقة، والحافظ، والمحيي، والرازق، فلا تُقدَّم طاعةُ السبب على طاعة المسبب، كما قال الله سبحانه ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان ١٥]، وكقوه عز وجل ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت ٨]، ويروى أن سببَ نزولها كان في سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه، فلما أسلم علِمَت أمُّه، وهي حمنة بنت أبي سفيان، فقالت: يا سعد، بلَغني أنك قد أسلَمْتَ، فوالله لا يُظلني سقفُ بيت من الضِّحِّ(الضِّح أي البروز للشمس) والرِّيح، وإن الطعام والشراب عليَّ حرام حتى تكفُرَ بمحمد (رواه مسلم)، وكان أحبَّ ولدها إليها، فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك، فجاء سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه، فنزلت هذه الآية، فأمره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يداريَها ويترضاها بالإحسان، ولقد كان للزمخشري رأي في أمرينِ مهمين من خاتمة الآية ﴿ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨]، قال: (أحدهما: أن الجزاءَ إليَّ، فلا تحدِّثْ نفسك بجَفْوة والديك وعقوقهما لشركهما، ولا تحرِمْهما بِرَّك ومعروفَك في الدنيا، كما أني لا أمنعُهما رزقي – فهو لجميع مخلوقاتي، والثاني: التحذير من متابعتهما على الشِّرك، والحثُّ على الثبات، والاستقامة في الدين بذِكْر المرجِعِ والوعيد) ولا شك أن الآية الكريمة قد جمعت بين الأمرين بر

الوالدين وطاعتهما، والبعد عن الشرك والمعصية. فعن ابن عمر قال: كانت تحتي امرأةٌ أحبُّها، وكان عمرُ يكرهها، فقال لي: طلِّقْها، فأبيتُ، فأتى عمر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فذكَر ذلك له، فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (طلِّقْها) رواه ابن ماجه وصححه الألباني، ولنا مع هذا الأمر وقفة يسيرة، هل يستجيب الولد لمطلب والديه أو أحدهما في مِثل هذه المسألة أم يمتنع؟ وإذا امتنع، هل يكون عاقًّا لوالديه أم لا يكون؟ ولذلك لا بد في مثل هذه المواطن من النظر في الضرر الذي سيلحق الوالدين من عدم تلبية رغبتهما وأيضا في مقدار تقوى الوالدين وورَعِهما وعِلمهما وفي أهمية الأمر الذي نهيا عنه، وما مقدار الضرر الذي سيعود على الوالدين من جراء هذا النهي ومن هنا ننظر في هذه القصة من خلال هذه الزوايا الثلاث ، ومما لا شك فيه أن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، صاحب نظرة ثاقبة، وحكمة بالغة، ويرى بعين بصيرته مالا يراه الأبناء،وهذا أمر معروف بين الناس،بأن الأباء يرون مالا يراه الأبناء ، وعمر رضي الله عنه، إنما كان ينظر ويرى شيئًا لم يرَه ولدُه، ونحن نعرف مقدار تقوى عمر وورَعِه، ومقدار نظرته الثاقبة للأمور، وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام مع والده آزر،حيث أمَر آزر ولده إسماعيل عليه السلام بتطليق زوجته عندما رأى منها تصرفًا لا يليق بها أن تكونَ زوجة لنبي، فإذا توفَّر آباء يخشَوْن الله ويتَّقونه، فيجب على الولد تلبيةُ طلبهم، وإلا كان عاقًّا، كذلك ينظر للأمر إن كان فيه ضرر على الأبوين، فإن كانت امرأةُ الولد تَكِيدهما، وتُنغِّص عيشهما، ولم ترتدِعْ بالتهديد لتغيير معاملتها – فالأَولى تلبية طلب الوالدين إن طلبا طلاقها، أما إن كان الأمر لا يُلحق بهما ضررًا لا من قريب ولا من بعيد، كأن تكون في مسكن وحدها، ولا يصدر منها ما يؤذي الوالدين، فعدم تلبية رغبتهما أو أحدهما بطلاقها لا يُعَد عقوقًا، ويبقى الابنُ على الإحسان لهما وبرهما ما استطاع، وإن كان الأمر يتعلق في تجارة ونحوها وأشارا عليه بعدم العمل بها، فهذا أمرٌ راجع إلى تقديره، ويُعَد رأيهما من باب المشاورة، إن شاء أخَذ به، وإن شاء أمضى تجارته، وهكذا تُقدَّر الأمور من قِبَل الولد الحصيف لإرضاء والديه وكَسْبِ مودتهما، وقد ورد في الحديثِ عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأةً وإن أمي تأمرُني بطلاقها، فقال له أبو الدرداء: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الوالد أوسطُ أبواب الجنة) ، فإن شئتَ فأضِعْ ذلك البابَ أوِ احفَظْه. رواه ابن ماجة وصححه الألباني.

ومن طاعة الوالدين وبرهما صِلَتُهما؛ فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمَتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: قدمتْ عليَّ أمي وهي راغبة – عن الإسلام – أفأصِلُ أمي؟ قال: (صِلِي أُمَّكِ) رواه البخاري ومسلم، والصلة هنا: العطيَّة والهبة والإنعام.

وكفارُ قريش كعادتهم في استغلال المواقف لصالحهم،استغلوا حثَّ الإسلام على طاعة الوالدين وحب المسلم وطاعته لدينه، فأرادوا استغلالَ هذه الطاعة في رد المؤمنين عن دِينهم، بحجة عدم رضاء الوالدين، فقد مرت بنا قبل قليل ما فعلَتْ أم سعد بن أبي وقاص من أجل رد سعد عن دِينه، وكذلك ما رواه ابن هشام في السيرة قصة عياش بن أبي ربيعة، قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه تواعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص التناضب (مكان قرية قرب مكة، أو شجر ملتف) من أضاة بني غِفَار (غدير يجمَعُ ماء المطر فوق سَرِف) موضع بين مكة والمدينة وقلنا: أينا لم يصبِحْ عندها فقد حُبِس، فليمضِ صاحباه، قال: فأصبحتُ أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحُبِس عنهما هشام، وفُتِن فافتتن، فلما قدِمْنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُبَاء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمهما، وأخاهما لأمهما حتى قدِما عليه المدينة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فكلماه وقالا: إن أمَّكَ قد نذرت ألا يمس رأسَها مُشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقَّ لها، فقلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدُ القوم إلا ليفتنوك عن دِينك، فاحذَرْهم، فوالله لو قد آذى أمَّك القَمْلُ، لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة، لاستظلت، قال: فقال: أبَرُّ قَسَمَ أُمِّي، ولي هنالك مال فآخذه، قال: فقلت: والله، إنك لَتعلم أني لمن أكثر قريشًا مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما، قال: فأبى عليَّ إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك، قلت: أما إذ قد فعلتَ ما فعلت، فخُذْ ناقتي هذه، فإنها نَجيبة ذَلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانجُ عليها، فخرج معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: والله يا ابن أخي، لقد استغلَظْتُ بعيري هذا، أفلا تُعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى، قال: فأناخ وأناخا ليتحوَّل عليها، فلما استوَوْا بالأرض،

عدَوْا عليه، فأوثقاه، وربطاه، ثم دخلا به مكة، وفَتَنَاه فافتتن، قال ابن إسحاق: فلما دخلا به مكة، دخلا به نهارًا موثقًا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسُفَهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا"[سيرة ابن هشام، ص٨٥/٢]، وتمام القصة أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى المدينة، قال: (من لي بعيَّاش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص؟)، فتطوع الوليد بن المغيرة، وذهب إلى مكة وأنقذهما.

أدلة السُنة النبوية على بر الوالدين:

ولقد جاءت السنة النبوية الشريفة لتعزز من قدر الوالدين، ولترفع مقامهما ،ولتعلم الأبناء صيغة البر والصلة والتعامل الحسن معهما،ومن ذلك أن رجلا اسمه جاهمة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (يا رسولَ اللَّهِ إنِّي كنتُ أردتُ الجِهادَ معَكَ أبتغي بذلِكَ وجْهَ اللَّهِ والدَّارَ الآخرةَ، قالَ: ويحَكَ أحيَّةٌ أمُّكَ؟ قُلتُ: نعَم، قالَ: ارجَع فبِرَّها، ثمَّ أتيتُهُ منَ الجانبِ الآخَرِ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ إنِّي كنتُ أردتُ الجِهادَ معَكَ أبتغي بذلِكَ وجهَ اللَّهِ والدَّارَ الآخرَةَ، قالَ: وَيحَكَ أحيَّةٌ أمُّكَ؟ قلتُ: نعَم يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: فارجِع إليْها فبِرَّها، ثمَّ أتيتُهُ من أمامِهِ، فقُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّي كنتُ أردتُ الجِهادَ معَكَ أبتغي بذلِكَ وجْهَ اللَّهِ والدَّارَ الآخرَةَ، قالَ: ويحَكَ أحيَّةٌ أمُّكَ؟ قُلتُ: نعَم يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: ويحَكَ الزَم رِجلَها فثمَّ الجنَّةُ) [رواه ابن ماجة وصححه الألباني]،وفيه دلالة على عظم قدر الأم فقد لقيت من الحمل والولادة والعمل الشاق في التربية والعناية الشيء الكثير.

و سأل عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (أيُّ الأعمالِ أحَبُّ إلى اللهِ تعالى؟ قال: الصَّلاةُ لِوَقتِها، فقُلتُ: ثم أيُّ؟ قال: ثم بِرُّ الوالدينِ، ثم قُلتُ: ثم أيُّ؟ قال: الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ ولوِ استزَدتُه لزادَني) [رواه الترمذي وصححه الألباني] ، ويأتي رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال(يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أبُوكَ). [رواه البخاري] ولذلك يحذر النبي عليه الصلاة والسلام من تفويت الفرصة في وجود الوالدان أو أحدهما فيخسر ما كان في اليد خسرانا مبينا،فقال صلى الله عليه وسلم (رَغِمَ أنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ

أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ قيلَ: مَنْ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: مَن أَدْرَكَ والِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدَهُما، أَوْ كِلَيْهِما، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ). [رواه مسلم].

وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:جاء رَجُلٌ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، واستأذَنَه في الجهادِ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحَيٌّ والداكَ؟ قال: نعمْ، قال: ففيهما فجاهِدْ). [متفق عليه] ،وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رضا الربُّ في رضا الوالدينِ، وسخطُهُ في سخطِهما). [رواه الترمذي وصححه الألباني] ، وجاء رجل اسمه جاهمة، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (يا رسولَ اللَّهِ، أردتُ أن أغزوَ وقد جئتُ أستشيرُكَ؟ فقالَ: هل لَكَ مِن أمٍّ؟ قالَ: نعَم، قالَ: فالزَمها فإنَّ الجنَّةَ تحتَ رِجلَيها). [رواه أحمد والنسائي] ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الوالِدُ أوسطُ أبوابِ الجنَّةِ، فإنَّ شئتَ فأضِع ذلك البابَ أو احفَظْه). [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه] ، وفي قصة النفر الثلاثة الذين انطبقت عليهم صخرة في الغار، فدعا رجل بعمله الصالح مخلصا لله تعالى، فقال: (اللَّهُمَّ إنَّه كانَ لي وَالِدَانِ شيخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عليهم، فَإِذَا أَرَحْتُ عليهم، حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُما قَبْلَ بَنِيَّ، وَأنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَومٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُما قدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كما كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بالحِلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِما أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُما مِن نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذلكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا منها فُرْجَةً، نَرَى منها السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ منها فُرْجَةً، فَرَأَوْا منها السَّمَاءَ)، [رواه البخاري ومسلم] فكان برّه لأمه وأبيه سبب لانفراج الصخرة من أمامهم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(لن يجزيَ ولدٌ والدَه إلا أن يجدَه مملوكًا فيشتريَه فيعتقَه) رواه مسلم.

أقوال بعض العلماء في بر الوالدين:

قال عبد العزيز السلمان (رحمه الله): مِن أقبح مظاهر عقوق الوالدين أن يتبرأ الولد من والديه حين يرتفع مستواه الاجتماعي عنهما كأن يكون فلاحَيْن أو يكون الوالد نجاراً أو صاحب

مهنة متواضعة، في حين يعيش الولد في ترف ويشغل وظيفة كبيرة، فيخجل من وجودهما في بيته عند زملائه بزيهما البسيط , وربما سأله من لا يعرف والده , مَن هذا ؟ فيقول: هذا خادم عندنا مستأجر لشؤون البيت وذلك لأن هذا الولد يتوهم أن هذه الهيئة تتنافى مع وظيفته أو مقامه الاجتماعي الكبير، وهذا بلا شك برهان على سخافة عقله وقلة دينه، والنفس العظيمة الشريفة تفتخر وتعتز بمنبتها وأصلها . أبيها وأمها، مهما كانت حياتهما ونشأتهما وبيئتهما وهيئتهما. ولا يُستبعد أن يوجد من النساء اللاتي يُقال لهن متعلمات إذا سألها مَن لا يعرف أمها، مَن هذه؟ فتقول: هذه خادمة عندنا. (موارد الظمآن . لعبد العزيز السلمان . جـ٢ . صـ٤٣٧).

قال بعض الصحابة: ترك الدعاء للوالدين يضيق العيش على الولد. وقال كعب: إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب , وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً ليزيد براً وخيراً. وقال أبوبكر بن أبي مريم قرأت في التوراة: من يضرب أباه يقتل. وكان محمد بن المنكدر يضع خده على الأرض , ثم يقول لأمه: ضعي قدمك على خدي.

قال ابن عباس : مامن مؤمن له أبوان فيصبح ويمسي وهو محسن إليهما إلا فتح الله له بابين من الجنة. وقال أبوالليث السمرقندي: لولم يذكر الله تعالى في كتابة حرمة عقوق الوالدين , ولم يوص بهما , لكان يُعرف بالعقل أن خدمتهما واجبة. وقال هشام بن عروة مكتوب في الحكمة: ملعون من لعن أباه , ملعون من لعن أمه.(ومعناها: أي يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه , فيصبح كأنه هو الذي لعنهما).

قال الحسن البصري: دعاء الوالدين ينبت المال والولد. وقال يزيد بن أبي حبيب: إيجاب الحجة على الوالدين عقوق [أي الانتصار عليهما بالكلام]. وقال الحسن: للوالدة الثلثان من البر , وللوالد الثلث. وقال علي بن أبي طالب: العجب كل العجب , من عاقل يعق والديه بعد قراءته سورة لقمان , وقد قرنهما الله تعالى بنفسه.

قال ابن عثيمين رحمه الله: من بر الوالدين بعد مماتهما أن تستغفر لهما، وتدعو الله لهما، وتكرم صديقهما، وتصل الرحم التي هم الصلة بينك وبينها، هذا من بر الوالدين بعد موتهما.

الواقع المرير:

إن من ينظر إلى الواقع المرير الذي يعيشه كثير من الآباء والأمهات ، من جفاء أبناءهم لهم،وتنكرهم لأفضالهم، ونسيان ما كان للوالدين عليهما من نعمة وفضل، والقسوة العظيمة، والعقوق الصارخ، التي أفرزتها كثرة النعم وظهور وسائل التواصل الحديثة،وشبكات المواقع الإلكترونية المحملة بألوان من برامج الإفساد وتشتيت الأسر وشحن الأبناء على ذويهم ومجتمعهم، وإبعادهم عن روح الإيمان والعبادة،وتجريدهم من كل ما يوثق الصلة بينهم وبين كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، مما جعلنا نرى في الواقع المؤلم نتائج هذه الهجمة الشرسة من قبل أعداء الإسلام والمسلمين،عبر الأفلام واللعب التي أوصلت الكثيرين من الأبناء والبنات إلى قتل ذويهم بما فيهم الوالدان أو الهروب والخروج من الإسلام .

ولذلك ودرءا لهذه المآسي والحد منها يجب على الآباء والأمهات إعادة النظر في قضية التربية ومعالجة الأخطاء السابقة،عن طريق لزوم المنهج الرباني والهدي النبوي في تربية وصقل الأبناء والبنات،وإبعاد معاول الهدم والتضييع من البيوت، ومراقبة الأبناء وتصرفاتهم وتقويم ما اعوج من أوضاعهم، وكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هي الحصن الحصين لهم في زمن تناثرت فيه الفتن وعظمت وعصفت بالكثيرين إلا من رحم الله.

وعلى الأبناء والشباب أن يتقوا الله تعالى في وصية الله لهم ببر والديهم والإحسان لهم،وأن يعلموا أن الأباء والأمهات من أسباب دخول الجنة وحلول مرضات الله ،يقول النبي صلى الله عليه وسلم(الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجته، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدُهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة) رواه مسلم، فقد لا يكون لأحدهم من العمل ما يبلغه الجنة إلا هذا الباب فليحفظه ولا يضيعه.